(٩٩) سورة الزلزلة

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مدنية آياتها ثمان نزلت بعد سورة النساء، وهى فى أسلوبها تشبه السور المكية لما فيها من أهوال وشدائد يوم القيامة، وهى هنا تتحدث عن الزلزال العنيف الذى يكون بين يدى الساعة حيث يدك كل صرح شامخ وينهار كل جبل راسخ ويحصل من الأمور العجيبة الغريبة ما يدهش الإنسان فتخرج الأرض ما فى بطونها من كنوز وموتى كما ينصرف الخلائق من أرض المحشر إلى الجنة أو النار.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾

معانى المفردات:

زلزلت الأرض: حركت تحريكا عنيفا أثقالها: موتاها

تحدث أخبارها: تخبر بما عمل عليها أوحى لها: جعل فى حالها دلالة على ذلك

يصدر الناس: يخرجون من قبورهم إلى المحشر أشتاتا: متفرقين

مثقال ذرة: وزن أصغر نملة

التفسير:

تبدأ السورة الكريمة بقول الله عز وجل ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ أى إذا حركت الأرض تحريكا عنيفا، واضطربت اضطرابا شديدًا واهتزت بمن عليها اهتزازا يقطع القلوب ويفزع الألباب قال المفسرون: إنما أضاف الزلزلة إليها "زلزالها" تهويلا كأنه يقول: الزلزلة التى تليق بها على عظمة جرمها وذلك عند قيام الساعة تزلزل وتتحرك تحريكا متتابعا وتضطرب بمن عليها ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبال

وأشجار وبناء وقلاع[1] ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ أى أخرجت الأرض ما فى باطنها من الكنوز والموتى قال ابن عباس "أخرجت موتاها، وقال منذر ابن سعيد "أخرجت كنوزها وموتاها[2] وفى الحديث "تلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانه من الذهب والفضة فيجئ القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجئ القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجئ السارق فيقول فى هذا قطعت يدى، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا"[3] ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾؟ أى وقال الإنسان ما للأرض تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة، ولفظت ما فى بطنها؟ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ أى فى ذلك اليوم العصيب ــ يوم القيامة ــ تتحدث الأرض وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وتشهد على كل إنسان بما صنع على ظهرها، عن أبى هريرة "رضى الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ "يومئذ تحدث أخبارها" فقال "أتدرون ما أخبارها؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال "فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول عمل يوم كذا.. كذا وكذا، فهذه أخبارها"[4] ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أى ذلك الإخبار بسبب أن الله جلت عظمته أمرها بذلك، وأذن لها أن تنطلق بكل ما حدث وجرى عليها، فهى تشكو العاصى وتشهد عليه وتشكر المطيع وتثنى عليه والله على كل شيء قدير ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ أى فى ذلك اليوم يرجع الخلائق من موقف الحساب، وينصرفون متفرقين فرقا فرقا، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أى لينالوا جزاء أعمالهم من خير أو شر ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ أى فمن يفعل من الخير زنة ذرة من التراب يجده فى صحيفته يوم القيامة ويلق جزاء عليه ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ أى من يفعل من الشر زنة ذرة التراب، ويجده كذلك ويلق جزاءه عليه قال القرطبى: وهذا مثل ضربه الله تعالى فى أنه لا يغفل عن عمل ابن آدم صغيره ولا كبيره، وهو مثل قوله تعالى "إن الله لا يظلم مثقال ذرة"[5].

---

(١) أنظر التسهيل ٤/٢١٣.

(٢) تفسير الألوسى ٣٠/٢٠٩.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) أخرجه الترمذى.

(٥) تفسير القرطبى ٢٠/١٥٠ والآية الكريمة (٤٠) سورة النساء.

الإعراب:

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا	إذا ظرف زمان للمستقبل زلزلت فعل الشرط ماض مبنى للمجهول الأرض نائب فاعل مرفوع والجملة فى محل جر بالإضافة للظرف، زلزالها مفعول مطلق منصوب.
وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا	الآية معطوفة على الآية السابقة، الواو عاطفة، أخرجت فعل ماض مبنى والتاء للتأنيث، والأرض فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، أثقالها مفعول به منصوب والهاء ضمير فى محل جر مضاف إليه.
وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا	الواو عاطفة، قال فعل ماض مبنى، الإنسان فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ، لها جار ومجرور فى محل رفع خبر والجملة من المبتدأ والخبر فى محل نصب مقول القول.
يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا	يومئذ ظرف أضيف لمثله ومحله النصب على أنه بدل من إذا والعامل فيه هو العامل فى البدل منه والتنوين عوض عن جملة أى يوم إذا تزلزل الأرض زلزالها، تحدث فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره هى، أخبارها مفعول به منصوب والهاء في محل جر مضاف إليه والجملة فى محل جر بالإضافة للظرف.
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا	الباء حرف جر، أن وما فى حيزها فى محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بتحدث والمعنى تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها، وجملة إن واسمها وجملة أوحى خبرها فى محل رفع ولها متعلقان بأوحى.
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا	يومئذ ظرف أضيف لمثله يصدر مضارع مرفوع، الناس فاعل مرفوع، أشتاتا حال من الناس منصوب وأشتاتا جمع شت.

لِّيُرَوْا أَعْمَـٰلَهُمْ	اللام للتعليل يروا مضارع مبنى للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد اللام والواو نائب فاعل فى محل رفع أعمالهم مفعول به ثان منصوب والضمير فى محل جر بالإضافة.
فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ	الجملة معطوفة على ماسبق وبنفس الإعراب.
وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ	الجملة معطوفة على ماسبق وبنفس الإعراب.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- جناس الاشتقاق فى قوله تعالى ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾.
- الإضافة للتهويل فى قوله تعالى "زلزالها:.
- الإظهار فى مقام الإضمار فى قوله تعالى ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ حيث ذكر الأرض مرتين.
- المقابلة بين ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ وبين ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖